التفكير الليبرالى

ترى الليبرالية المسيحية أن التعاليم الأخلاقية هى جوهر الدين المسيحى . . وليست معتقداته الكلاسيكية . وقد عمل هذا التيار الفكرى المسيحى فى القرن السابع عشر على تجريده من العناصر الأسطورية أو(الميثولوچية) كى يفصل جوهر الدين عن غطائه الأسطورى الذى ظل ملتحمًا به . يشعر المسيحيون الليبراليون بالارتياب نحو تلك المذاهب المعقدة عن طبيعة المسيح والثالوث المقدس ، والتى ظهرت فى القرون المبكرة من تاريخ الكنيسة . فهم يمتنعون عن قبول مجموعة الأحداث المختلفة فى الكتاب المقدس ، مثل خلق العالم فى سبعة أيام ، وجنة عدن وطوفان نوح ، على أنها روايات حرفية ، وغالبًا ما تمتد شكوكهم إلى القيامة الجسدية للمسيح والمعجزات المنسوبة إليه . وبدلاً من الاعتقاد بأن المسيح كان مخلوقًا خارقًا للطبيعة ، فإن المسيحيين الليبراليين يرونه كمعلم أخلاقى جليل ، ونموذج سام يحتذون به طوال سنوات رسالته الموجهة أساسًا للفقراء . فمثلاً كنيسة «التوحيد» ، والتى أدخلها العالم واللاهوتى الإنجليزى الأصل«چوزيف پريستلى» إلى الولايات المتحدة عام ١٧٩٤م ، هى طائفة يقوم جوهر بنائها حول هذه الأفكار الأساسية . كان «پريستلى» صديقًا لبنيامين فرانكلين ، وكان له نفوذ «لاهوتى» واضح على توماس چيفرسون برغم ذهاب كل من فرانكلين

وچيفرسون إلى الكنيسة الأسقفية. وقد أدت «الداروينية.. ونقد الكتاب المقدس»، إلى الارتياب فى الدقة الحرفية لكثير من روايات الكتاب المقدس، وانتشرت الليبرالية فى التيارات الرئيسية للطوائف البروتستانتية، بما فيها الكنائس الميثودية والمشيخية، والمعمدانية الأمريكية، والأبرشية، والأسقفية، واللوثرية. والتى تتبعها عادة الصفوة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى الولايات المتحدة.

برغم أن المسيحيين المحافظين عقائديًا عادة ما يرون فى التقدمية خروجًا عن التيار المسيحى الرئيسى، يزعم المسيحيون الليبراليون أنهم يُمثلون جوهر البروتستانتية. فالإصلاح - من وجهة نظرهم - يمثّل أول مرحلة فى استعادة جوهر المسيحية القيّم، وقد برأ الإصلاحيون الأصليون الكنيسة من صكوك الغفران والمطهر، وعصمة البابا، وتحويل خبز القربان ونبيذه إلى جسد المسيح ودمه. وبهجوم المسيحيين الليبراليين على العقائد المسيحية الراسخة، مثل الثالوث المقدس والخطيئة الأصلية ووجود الجحيم، يعتقدون بذلك أنهم يتبعون «المبادئ البروتستانتية».

ويرى المسيحيون الليبراليون الفارق بين المسيحيين وغير المسيحيين بصورة أقل مما تراه الطوائف الرئيسية للبروتستانتية؛ حيث يعتقد المسيحيون الليبراليون أن الأخلاق واحدة فى كل العالم، إذ يمكن للبوذيين والمسيحيين والهندوس واليهود والمسلمين، وحتى غير المؤمنين أن يتفقوا جميعًا حول ما هو صواب وما هو خطأ. فكل ديانة تحظى فى جوهرها بجزء من الحقيقة الأخلاقية، وتلعب فكرة أن الكنيسة

مجتمع متسام عن الطبيعة يتمتع أعضاؤه بنعم خاصة، دورًا ضئيلاً فى المسيحية الليبرالية.

لأن معظم المسيحيين الليبراليين قد نبذوا عقيدة الخطيئة الأصلية (بالاستثناء المهم للمسيحيين الواقعيين، مثل عالم اللاهوت «رينولد نيبور») فإن المسيحية الليبرالية تقود المسيرة للتفاؤل بإمكانية قيام نظام دولى ينعم بالسلام، ومؤسسات دولية مثل الأمم المتحدة، وفى الحقيقة رأى المسيحيون الليبراليون الصراع من أجل إقامة مملكة الرب دعوة عامة لدعم القضايا السياسية التقدمية داخل البلاد وخارجها. ويؤكدون أن النبوءات المظلمة من كتاب «رؤيا يوحنا» تشير إلى صعوبة إقامة نظام اجتماعى عادل فوق الأرض. لكن هذا النظام سيأتى لا محالة إذا سعى الناس جميعًا لإقامته.

لقد هيمنت البروتستانتية الليبرالية على المنظور السياسى الدولى للولايات المتحدة إبان الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة. وقد انغمس زعماء سياسيون فى هذا التراث، أمثال فرانكلين روزفلت وهارى ترومان ودين أتشيسون ودوايت أيزنهاور وچون فوستر دالاس، مثلهم فى ذلك مثل الصفوة فى أمريكا. فتح المفهوم المسيحى الليبرالى الباب للتعاون مع الكاثوليك الرومان واليهود، الذين كانوا فى طريقهم لزيادة نفوذهم داخل الولايات المتحدة. كما نجد أن التفاؤل الذى يقترب به المسيحيون الليبراليون من مشاكل النظام الدولى الجديد، والتعاون عبر الخطوط العرقية والدينية، يعكس نجاحهم المبكر فى تكوين إجماع للرأى داخل المجتمع.

واجهت المسيحية الليبرالية فى السنوات الأخيرة العديد من التحديات. أولاً: أنها تميل إلى الذوبان داخل العلمانية، ومن ثم يتبع أعضاؤها المبدأ «البروتستانتى» بالخروج من باب الكنيسة، وبذلك تنكمش الطوائف الرئيسية للمسيحية الليبرالية. ثانيًا: يرتبط المسيحيون الليبراليون بعلاقات فاترة بالقضايا والمسارات الدينية. قد يكون المسيحيون الليبراليون من حماة البيئة أو على علاقة بـ «بنادى سيرا» أو ناشطين فى قضايا حقوق الإنسان، أو على علاقة بمنظمة العفو الدولية (أمنستى)، ولكن تلك الأنشطة تشغل مكانًا داخل العالم العلمانى. ثالثًا: بابتعادهم عن الكنيسة الكاثوليكية الهيراركية (الهرمية) بسبب موقفهم من قضايا الإجهاض وعلاقات المثليين وحقوقهم، كذلك ابتعادهم عن اليهود بسبب تآكل دعمهم لإسرائيل، فقد بذلك المسيحيون الليبراليون دورهم التقليدى فى «لم الشمل» داخل مجتمع متعدد الأديان.

أخيرًا، فإن التيار الرئيسى للطوائف البروتستانتية، يزداد استقطابه حول بعض القضايا مثل حقوق المثليين. وبسبب استنزافهم فى معارك داخلية، أصبحوا أقل قدرة على التأثير فى المجتمع الأمريكى بصفة عامة.

***